

الهجرة الفردية للنساء الجزائريات نحو الدول الغربية

نعيمة زيدان - أستاذة مساعدة (أ)
قسم علم الاجتماع- كلية العلوم الاجتماعية.
جامعة وهران / الجزائر.

-Résumé

Dans la société traditionnelle algérienne la femme est considérée comme l'élément central de la structure familiale. Elle est aussi la gardienne et la détentrice de la tradition et des coutumes sur lesquelles s'articule la culture traditionnelle. De ce fait, elle demeure l'élément stable et statique dans la cellule familiale dont elle assume la permanence.

Or, durant ces dernières décades, nous constatons une mobilité féminine très appréciable. Des femmes, de toutes conditions, de tout âge, décident, ou sont poussées par des événements conjoncturels divers, de quitter leur domicile et partir à l'étranger.

مقدمة

بعدما شهدت الهجرة الجزائرية في النصف الأول من القرن العشرين هجرة الرجل وحده نحو الدول الغربية، نلاحظ أن هذه الظاهرة تغيرت خاصة مع بداية الثمانينيات إلى يومنا هذا، بحيث أصبحت المرأة تهاجر إلى الخارج لوحدها دون الرجل. فالمجتمع الجزائري التقليدي، الذي تعتبر فيه المرأة العمود الأساسي في البناء الأسري وحارسة للتقاليد والأعراف والعادات وتعمل هي نفسها على إعادة إنتاج النمط التقليدي. هذا الأخير، الذي حدد عالم الرجال بالعالم الخارجي وعالم النساء بالعالم الداخلي (البيت)، حسب تقسيم العمل. فلم يكن يسمح للمرأة بمشاركة الرجال عالمهم كما كان يحضر عليها المغادرة، بل، وحتى أن تتخطى عتبة المنزل بمفردها وبدون عذر مقنع. لذلك، كانت خاصية التنقل ومنها الهجرة خاصية ذكورية. غير أنه، وفي العقود الأخيرة، أصبح هذا المجتمع يعيش حركة نسائية جلية، ومنها هجرتهم الفردية إلى الدول الغربية.

ظاهرة هجرة النساء، كمثلاث على مسرح الهجرة، أصبحت موضوعا له مكانته على الساحة الدولية والبحوث العلمية والأكاديمية فإرضة نفسها بقوة بعدما كانت هجرة المرأة غير بارزة وكان الرجل هو الوحيد الذي يحتل هذا المجال. فحسب أدبيات ودراسات الهجرة هناك ثلاث مراحل مرت بها ظاهرة الهجرة النسائية:

- 1- المرحلة الأولى: تتمثل في اختفاء النساء من مسرح الهجرة.
 - 2- المرحلة الثانية: تعود الى فضل التجمع العائلي على هجرتها.
 - 3- المرحلة الثالثة: تصور المهاجرات كمثلاث للعامل الاقتصادي، السوسيوقافي، العلمي والنفسي بالكامل.
- وعليه، فإن هجرة المرأة الفردية، تعكس وبشدة التطورات والتحول الحاصلة في مجتمع الانطلاق.

1-هجرة المرأة ظاهرة عالمية

شهدت السنوات الأخيرة تدفقات هجرة نسوية مهمة، إذ مثلت النساء حوالي 50 % من عدد المهاجرين الإجمالي في العالم المقدر ب175مليون وفي سنة 2005 بلغ عددهن 94,5 مليون أي تقريبا النصف من العدد الكلي البالغ 191 مليون، حيث تعتبر الدول آسيوية وعلى رأسهم الفلبين أكبر مصدر للنساء. فالنساء، يمثلن حاليا أغلبية العاملات المغتربات وينتشرن في أرجاء كثيرة من العالم.(25: ENGLE, I. 2004)

فأعداد المهاجرات في تزايد مستمر مما يجعل المرأة عنصرا فعالا في الهجرة الدولية وهذا ما يبينه لنا الجدول التالي:

-الجدول رقم (1): تعداد المهاجرات الدوليات:

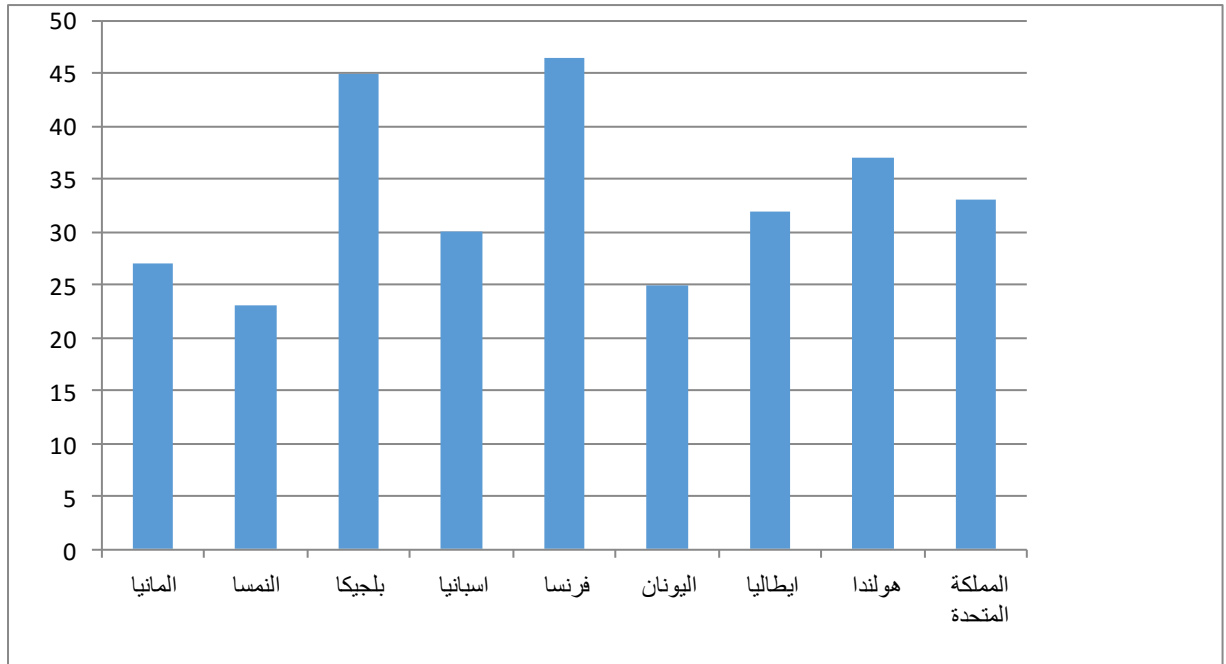
السنة	المجموع العام للمهاجرين	مجموع النساء	نسبة النساء المهاجرات%
1960	75,463,352	232 35,328,	46.8
1965	78,443,933	36,918,332	47.1
1970	81,335,779	38,426,955	47.2

47.4	41,104,314	86,789,304	1975
47.2	46,884,139	99,275,898	1980
47.2	52,364,718	111,013,230	1985
49	75,967,491	154,945,333	1990
49.3	81,396,614	165,080,235	1995
49.7	87,757,603	176,735,772	2000
49.6	94,518,611	190,633,564	2005

Source: UN Population Division, Trends in Total Migrant Stock: The 2005 Revision

تتمثل النسبة الكبيرة من المهاجرات، في فرنسا والبرتغال من شمال أفريقيا و أفريقيا الوسطى (Claudine Blasco, 2003). ويمثل نصيب المهاجرات الجزائريات من اجمالي المهاجرين الجزائريين 44,2 % أي من 805.809 مهاجر هناك 355.880 مهاجرة. (يوروميد، 2، 2008-2011: 167).

-الشكل رقم (1) يبين توزيع المهاجرات الجزائريات في أوروبا:



-المصدر: يوروميد 2008-2011 ص 155

تتجه بصفة عامة، هجرة الجزائريات نحو اثنين من الدول الأوروبية: فرنسا وبلجيكا، مع معدلات قريبة من 50% (46,4% و 44,2%). وإذا كان هناك تقليد للهجرة إلى البلدين المذكورين، فإنه يمكننا أيضا، أن نبرز وجهات مهمة مثل: هولندا، المملكة المتحدة، إيطاليا وألمانيا، التي تستضيف وحدها أكثر من 30% من المهاجرات، هذا دون أن ننسى كندا والولايات المتحدة الأمريكية. (يوروميد 2008-2011 ص 155).

بطبيعة الحال، لظاهرة هجرة النساء الجزائريات نحو الخارج جذور تاريخية، شكلت بداية في التدفق الهجرة النسائية نحو أوروبا ومنها فرنسا بالتحديد.

2- التجمع العائلي وبداية تأنيث تدفقات الهجرة

تأنيث تدفقات الهجرة هو ثمرة التجمع العائلي (بين 1969 و 1990)، بحيث دخل تحت هذا الاطار حسب (Jacques SIMON) 140.635 شخص بين زوجة وطفل، والذين كانوا أصل تكوين العائلات الجزائرية في فرنسا. هذا ما أدى إلى تغيير مهم في البناء السوسيو ديموغرافي للسكان الجزائريين في فرنسا.

ذلك أنه، وابتداء من سنوات السبعينات، لاسيما سنة 1974، فقد عرفت الهجرة نقطة تحول فاصلة في طبيعتها، عندما قررت البلدان الأوروبية الحد من هجرة العمال. وعليه، وابتداء من سنة 1970، سيتطور عدد العائلات المرافقة أو التي لحقت بالعمال الدائمين، ليصل إلى 79,48 % وهذا ما بين 1975 و1982. Jacques (SIMON2002:43).

خلال هذه الفترة، ستبدأ الهجرة في اتخاذ طابع التأنيث بشكل متزايد. النموذج الفرنسي هو الأمثل للتعبير عن هذه الوضعية، بحيث شهد تضاعف دخول النساء عن الرجال من المغرب العربي إلى التراب الفرنسي بين سنة 1975 و1982، إذ وصلت النسبة إلى 40 %. ذلك أنه في غضون سبع سنوات، سيتزايد عدد المهاجرين بشكل ملموس، منهم من أتى للاستقرار نهائيا في فرنسا بفضل التجمع العائلي (Bichara Khader 1993-1992).

فقد وصل عدد العائلات التي دخلت التراب الفرنسي سنة 1974، حوالي 2317 عائلة، والتي تشمل (5663 شخص)، مقابل 183 سنة 1962 و1685 في 1972. (Malek A et Alain G 1976 :41).

وحسب (Bichara Khader)، فقد سنت شروط للتجمع العائلي سنة 1974 ومن أهمها المنزل اللائق والدخل المادي الضروري لحياة العائلة، وهذا لكي يستطيع العامل استقدام الزوجة والأولاد. فقد أشرف عدد الداخلين لفرنسا ضمن هذا إطار التجمع العائلي سنة 1982، على قوة عددية وصلت إلى 9.094 مهاجر. "ففي هذه السنة، مثلت الجالية الجزائرية، من بين بقية المهاجرين المغاربة، أكبر نسبة في فرنسا 40 % منهم نساء. فيما وصلت الجالية المغربية كلها في فرنسا إلى 1.471.000 شخص (في مقابل 227.100 في 1954) منها 796.000 جزائري، 431.000 مغربي و190.000 تونسي" (Bichara Khader 1992-93). هذا، بالإضافة إلى أن بداية سنوات الثمانينات، زامت تلك الفترة التي أحصت فيها منظمة الهجرة العالمية أكبر عدد للأشخاص المعنيين بهذا المعيار (التجمع العائلي).

غير أنه، حتى ولو أن نسبة النساء في تزايد مضطرد، يظل الرجال يمثلون النسبة الأكبر. فقد استمرت هجرة الرجال في التزايد، مقارنة مع هجرة النساء. هذه الظاهرة تجد تفسيراً لها في البناء الاجتماعي للعائلة التقليدية والمترسخة في النموذج العائلي البطريقي. من خلال الجدول التالي، نلاحظ مقارنة بين الجنسين في تطور أعداد المهاجرين إلى فرنسا.

-الجدول رقم (2):تطور هجرة الأثوية الجزائرية في فرنسا:

السنة	مجموع السكان الجزائريين بفرنسا	الجنس الذكري	الجنس الأنثوي	نسبة الجنس الأنثوي
1946	22 114	21 506	509	2,21 %
1954	208 540	193 620	14 920	7,1 %
1962	350 484	292 777	57 707	16,4 %
1975	710 690	483 090	227 600	32 %
1982	805 116	494 540	310 476	38,5 %
1990	614 207	369 261	253 946	41,2 %

- Source : (Jacques SIMON, 2002, 43)

من هنا، تتبدل مميزات الهجرة الجزائرية. فتكوين أسرة، يعني تغير في حياة العمال وفي طبيعة الهجرة الجزائرية بحد ذاتها. "فإذا كان دخول الجزائريين إلى فرنسا تحت إطار التجمع العائلي بصفة فعلية من 1969 إلى 1994، فإن تأنيث الهجرة/ مع ذلك قد أخذ في الاتساع ابتداء من سنوات الستينيات، بحيث شهد ارتفاعاً بصفة ملفتة للنظر بين 1962 و1990، حيث انتقلت النسبة من 16,4% من مجموع السكان الجزائريين بفرنسا إلى 41,2%." (Jacques SIMON, 2002 : 43)

غير أن التجمع العائلي، ليس هو العامل الوحيد في تأنيث تدفق الهجرة إلى الخارج، لا سيما إلى فرنسا. كما أن المرأة إنما كانت تهاجر للالتحاق بزوجها، فهي ليست هجرة فردية مستقلة. ولكن هجرتها الفردية هي نتيجة للتطورات السوسيوثقافية والاقتصادية .

3-تمدرس المرأة والمشروع الشخصي للهجرة

لقد سمحت ظاهرة التمدرس بفتح باب التنقل والحركة للفتاة سواء داخل الوطن أو خارجه متجاوزة كل العراقيل والعادات وتقاليده المجتمع وتفسيرات الفقهاء التي تكبح المرأة وطموحاتها.

3-1_ هجرة الطالبات

بعد استقلال الجزائر، ظهر نموذج آخر من الهجرة، والذي كان من نتائج سياسة التكوين بالخارج، لا سيما إلى فرنسا. فقد بذلت الجزائر مجهودات ضخمة في هذا الصدد، حيث قامت بتخصيص تمويل، مؤسسة جهاز البحث وتطوير وتدعيم التعاون الثقافي العلمي، والتقني، وذلك من أجل تكوين كفاءات علمية وتبني لسد الفراغ الذي خلفته الأطارات الفرنسية التي غادرت الجزائر بعد الاستقلال. "فحسب المنظمة الدولية (OMI)، فإنه ومنذ 1990، هاجر نحو 30000 طالب جزائري إلى فرنسا- ومن بينهم الطالبات - حيث يبلغ متوسط السنوي لدخول الطلبة خلال التسعينيات إلى فرنسا 500 طالب". (Kamel Kateb, 2005 :122).

في سنة 2003 سوف يبلغ عدد الطالبات اللاتي دخلن فرنسا 1666 طالبة مقابل 4436 طالب بمجموع 6102 طالب مهاجر. (INSEE :2005)

هذا ما يؤكد تمكن المرأة المتعلمة من إقناع الأسرة التقليدية بضرورة هجرتها للخارج لإكمال مسارها الدراسي وبناء مستقبلها. فمشروع الهجرة المستقلة للمرأة مرتبط بوجه خاص بالتقدم في المجال التربوي. هذا الأخير سيحفز خروج المرأة إلى الحياة العامة ومنها العمل والدفع نحو تغيير التركيبة السوسولوجية للمجتمع وبنيتها العائلية التقليدية، ذلك أن ستمكن من الإفلات من قيود العادات والتقاليد والدور الموسوم بها في المجتمع التقليدي. فالتعليم لم يدفع البنت أو المرأة إلى الهجرة بدافع التعليم فقط، بل عمل على تغيير رؤيتها للحياة ولوضعها ولمركزها الاجتماعي والبحث عن شخصيتها الخاصة بها وعن مستقبلها حتى ولو كان وراء البحار.

4- التحولات السوسيوثقافية والاقتصادية ومغامرة الهجرة الفردية

أصبحت الهجرة الفردية للمرأة الجزائرية ظاهرة ملموسة في المجتمع الجزائري، خاصة بعد الثمانينيات والتسعينيات تلعب فيها متغيرات العمر والمستوى الدراسي والحالة المدنية

ومكان الإقامة دورا مهما، فحسب ملاحظتنا نرى أن الشابات أكثر هجرة شخصية من متوسطات العمر أو العجائز لما يتميزن به من روح المغامرة والاستكشاف ومحاولة لبناء المستقبل. كما أن للمستوى الدراسي دور في الهجرة الفردية لما تحمله المرأة المهاجرة من مستوى علمي وثقافي، من بينه اللغة والكفاءة المهنية. فقياسا مع متغير الحالة المدنية، نلاحظ أن العازبات أو غير المتزوجات، هن الأكثر توجهن نحو لهجرة الفردية وذلك لضعف التزامهن بالارتباطات العائلية والاجتماعية. كما أن النساء اللاتي نشأن في الوسط الحضري، هن أكثر جرأة على الهجرة المستقلة من الريفات. في هذا الصدد، تنتهج المرأة عدة استراتيجيات مشفوعة بحجج مختلفة كالعمل والدراسة، المتابعة الصحية، وهذا بغية الوصول إلى الضفة الأخرى، وهذا إما عن طريق الهجرة الشرعية أو الغير شرعية.

تقود هذه الرؤية إلى تطور مكانة المرأة في نطاق التطور السوسيوثقافي والاقتصادي للمجتمع الجزائري الذي نمت نزعة الفردانية، خاصة بين النساء اللواتي يقين لعقود تحت تبعية الرجل وهيمنته ووكل لهن أن يقين حاميات للعرف والتقاليد، أي توريث المجتمع التقليدي، في وقت كان التنقل أو الهجرة، خاصة منفردة وسمة ذكورية.

فقد أثرت التحولات السوسيوثقافية والاقتصادية والسياسية التي عرفها المجتمع الجزائري، والتي بدأت مع الاستعمار وتعمقت بشكل واضح بعد الاستقلال 1962، يضاف إلى ذلك تأثير العولمة ببعديها الاقتصادي والثقافي، أثرت في البنية السوسولوجية للمجتمع التقليدي ومؤسساته الهيكلية ومنها الوظائف، التي كانت تميز العائلة الجزائرية التقليدية باعتبارها أيضا وحدة اجتماعية واقتصادية وثقافية. يضاف كل هذا إلى تغير أدوار أفرادها، والذي أدى إلى إعادة النظر في التسلسل الهرمي للأسرة التقليدية. فقد أصبح الوضع الاقتصادي والثقافي للفرد داخل الأسرة، يحدد مكانته كما أصبحت السلطة التقليدية للمجتمع التقليدي بالكاد تكون رمزية. فقد بدأت المرأة تخرج من شرفة هويتها الأولى في العائلة التقليدية لتكون هوية شخصية جديدة نمتها بفضل التعليم والخروج للعمل وغذتها سمات التمدن ومنها الميول للفردانية. بهذا، أصبحت المرأة تبحث عن حياتها ومستقبلها بذاتها، وخرجت - ولو نسبيا - عن دائرة التبعية والخضوع التي كانت إحدى سماتها في العائلة التقليدية. هذا "الانعتاق"، سيكون محاولة منها التخلص من الضغوط

العائلية والرقابة الأسرية والاجتماعية ورغبة منها في اكتساب حريتها وبناء شخصيتها واستقلاليتها، لتكون مسؤولة عن نفسها. هذه الرغبة، ستدفعها نحو مغامرة الدخول في تجربة شخصية تجعلها تحمل أمتعتها وتبحث عن الأفضل في مجتمع آخر يختلف عن مجتمعتها.

خاتمة

نستنتج مما سبق، أن التحول الذي عرفته المرأة الجزائرية بفضل التغير الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، خلق تناقضا بين وضعها وثقافتها الحديثة والثقافة التقليدية التي ما زال يتشبث بها المجتمع التقليدي. فالتقدم الفكري الذي مس النساء بفضل التمدرس والخروج للعمل والقوانين الجديدة وحملات التوعية السياسية والقوانين الدولية والوسائل السمعية البصرية والتبادلات الدولية بالإضافة الى العولمة، قد أدى إلى تغير نظرة المرأة للحياة بصفة عامة. كما أدت كل هذه العوامل مجتمعة إلى تعميق الفجوة بين طموحاتها في حياة أفضل وبين صلابة المجتمع، الذي لم يشأ أن يتخلص من خصائص المجتمع التقليدي، من جهة، ولم يستطع أن يكون معاصرا من جهة أخرى. هذا ما سيدفع بالمرأة إلى اليأس من أي تحول وتطور من شأنه أن يحسن من وجودها حياتها ووضعها ومنزلتها، الشيء الذي مما يدفعها إلى الهروب من هذا الوضع الخانق المقيد، واللجوء إلى مغامرة "الخروج"، نحو فضاء تعتقد فيه أنه المحيط الأفضل لتحقيق أهدافها وطموحاتها.

المراجع
الدراسات

-يوروميد للهجرة2(2008-2011)-الهجرة النسائية بين دول البحر الأبيض المتوسط والاتحاد الأوروبي.

« www.enpi-info.eu/.../StudyonWomenredGIZ_EUROMED_IL_AR »

-Références

-Les livres

-Jacques SIMON(2002)" *l'immigration algérienne en France de 1962 à nos jours* ". l'harmattan .paris France.

-Kamel Kateb,(2005) " *école, population et société en Algérie* ", L'harmattan – paris ,France .

-_Lauren B. Engle (2004)," *The World In Motion; Short Essays on Migration and Gender*", Organisation internationale pour les migrations, Genève.

-Malek Ath-Massaoud et Alain Gillette (1976)" *L'immigration Algérienne en France*" .éditions entente. Paris .France .

-Les séminaires :

-Claudine Blasco "Une immigration féminine"[En ligne] Extrait de la contribution au séminaire sur les femmes migrantes.12 et 14 novembre 2003 - 2ème Forum Social Européen.

« <http://yonne.lautre.net/spip.php?article531> ».

-Les site électroniques :

-Bichara Khader " *l'enjeu migratoire dans les rapports Europe-Maghreb*"[En ligne] N°5 Hiver 1992-93 Confluences Méditerranée.

« <http://confluences.ifrance.com/textes/5khader.htm> ».

-Les Statistiques :

- L'Insee et la statistique publique, 2005.

« <http://www.insee.fr> ».

